وقف مركز مكة العالمي للهدى القرآني
جمعية القلم للدراسات والأبحاث
مؤتمر
هدايات القرآن في بناء الإنسان

عنوان البحث:

آدم عليه السلام قصة بناء الإنسان الأوّل

اسم الباحث/ـة

د/ عدنان بن أحمد عبد الرَّؤوف

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله المقدَّسة أسماؤه، السَّابغة آلاؤه، الواسعة رحمتُه، المنجية مغفرتُه.

وصلَّى الله على محمَّدٍ النَّبيِّ الأمِّيِّ الذي بلغ الرِّسالة وأدَّى الأمانة، وترك في النَّاس ما لو تمسَّكوا به لم يضلوا ولن يضلوا بعده: كتاب الله، منه آياتٌ محكماتٌ هنُّ أمُّ الكتاب، وأخر متشابهات، فأمّا الذين في قلوبهم زيغٌ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، وما يعلم تأويله إلا الله، والراسخون في العلم يقولون آمنا به، كل من عند ربنا، وما يذكر إلا أولو الألباب. وبعد:

فقد ذكر أهل العلم أنّ آيات القرآن الكريم تنقسم إلى ثلاثة أقسام بحسب موضوعاتها الكبرى: **العقيدة، الأحكام، القصص.**

وإنّ أوّل قصّة ذكرها الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم: قصة الإنسان الأول آدم عليه الصلاة والسلام خليفة الله في الأرض.

وهذا يوضح أهمية معرفة: كيف ابتدأت قصّة الإنسان الأوّل، وما عوامل بنائه لخلافة الأرض، وعمارتها. فهذا الدّور ما زال منوطًا به، ولا تزال البشرية تعاني من غياب هذه العوامل عن إدراكها.

وعليه؛ فالبحث يهدف إلى رسم معالم القيم الإنسانية لعمارة الأرض، وهو دراسة وصفية موضوعية في الآيات الواردة في (سورة البقرة: ٣٠-٣٩)،

وقد رغبت أن أشارك به (مؤتمر هدايات القرآن في بناء الإنسان)، تحت المحور الثالث: **هدايات القرآن الكريم وأثرها في الرقي الأخلاقي في بناء القيم الإنسانية**. والذي ينظمه (وقف مركز مكة العالمي للهدى القرآني).

وتأتي أهمية البحث من حيثُ إن موضوعه يتناول:

أول قصة في القرآن الكريم.

قصة أوّل نبيٍّ من أنبياء الله عليهم السلام.

قصة الإنسان الأوّل.

والبحثُ يحاول الإجابة عن سؤال تثيره آيات قصة آدم عليه السلام، وهو: لماذا أسكن الله آدم الجنّة وقد خُلِق ابتداءً ليكون خليفةً في الأرض؟

وقد وسمتُه بـ (**آدم عليه السلام، قصة بناء الإنسان الأوّل**)، وانتظم في **مقدمة، ومبحثين، وخاتمة:**

مقدمة: (وفيها: أهمية البحث، وسببه، ومنهجه، وخطته).

المبحث الأوّل: قصة بناء الإنسان الأوّل.

المبحث الثاني: هدايات قصة بناء الإنسان الأول.

خاتمة (وفيها أبرز النتائج، وأهم التوصيات).

والله الموفِّق، وهو المعتمد، والهادي إلى سواء السبيل.

المبحث الأوّل: قصة بناء الإنسان الأوّل:

إنَّ قصَّة آدم عليه السلام هي أولى قصص القرآن الكريم بعامّة وقصص الأنبياء بخاصّة، فلم يرد أيّ ذكر قبلها لنبيٍّ من الأنبياء، ولذلك سوف يعرض الباحث لهذه القصّة من خلال الآيات التي في (سورة البقرة) لنتعرّف على بداية قصة الإنسان على الأرض.

-قبل الخلق:

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة]. يُذكِّر[1] الله تعالى نبيَّه محمّدًا ﷺ بقوله للملائكة بأنّه سيجعل في الأرض خليفةً يخلفُ بعضهم بعضًا وهو آدمُ وذُريَّته من بعده[2]، فقالت الملائكة استعلامًا لا اعتراضًا: أتجعل في الأرض مَن يفسدون فيها، ويقتلُ بعضهم بعضًا؟! ولم نُستخلفْ نحنُ مع أنّنا دائمو التّسبيح بحمدك والتّقديس لك؟!

فأخبرهم تعالى أنّه يعلم ما لا يعلمون، ممّا خفي عليهم من الحِكم والمصالح باختياره لهذا الخلقِ دونهم، بأنّ يكون خلفاء في الأرض[3].

قال البغويُّ رحمه الله (٥١٠هـ): «خليفة الله في أرضه لإقامة أحكامه وتنفيذ وصاياه»[4].

وقال الزّمخشريُّ رحمه الله (٥٣٨هـ): «والخليفة: مَن يخلف غيره. والمعنى: خليفة منكم؛ لأنَّهم كانوا سُكَّان الأرض،

---

(١) قال أبو البقاء الكفوي في (الكليات: ٦٩): «كلّ ما ورد في القرآن: (وإذ) فـ (اذكر) فيه مضمرٌ، أي: اذكر لهم، أو: في نفسك كيفما يقتضيه صدرُ الكلام، و(إذا) منصوبٌ به، وعليه اتّفاق أهل التفسير».

(٢) انظر: مادة (خلف) في (مقاييس اللغة ٢/٢١٠، ومفردات القرآن: ٢٩٤).

(٣) انظر: بدائع الفوائد (٤/١٣٧-١٣٨)، وتفسير السعدي (٤٩).

(٤) معالم التنزيل (١/٧٩).

فخلفهم فيها آدمُ وذرّيتُه»[1].

-بعد الخلق:

قال الله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ ﴾[البقرة].

في هذه الآية يُخبر الله تبارك وتعالى عمّا اختصّ آدم به، وميّزه عن الملائكة، وهو القُدرة على أن يُعلِّم نفسَه، ويتعرَّف على خصائص الأشياء من حوله، ويُعطي لها أسماءً تميّزها عن غيرها. ويُميّز الضّارّ من النافع، والخير من الشّرّ، والقُبيح والحسن، وقبل ذلك كلّه معرفته بالخالق، فهذا الخلقُ خُلِق على التّوحيد ومعرفة الله[2].

وقال ابن عطيّة رحمه الله (٥٤٢هـ): «معناه: عرَّف، وتعليمُ آدم -هنا- عند قوم: إلهامُ علمه ضرورةً. وقال قومٌ: بل تعليمٌ بقولٍ، فإمَّا بواسطة مَلَك، أو بتكليم قبل هبوطه الأرض»[3].

وذكر الطَّاهر ابن عاشور (١٣٩٣هـ) أنَّ تعليم الله تعالى آدم الأسماءَ إمَّا بطريقة التلقين بعرض المسمى عليه فإذا أراه لقن اسمه، فيعلم أنَّ ذلك اللفظ دالٌّ على تلك الذات، أو يكون التَّعليم بإلقاء علم ضروري في نفس آدم بأن ألهمه وضعَ الأسماء للأشياء،

كما قال تعالى: ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾ ﴾ [الرحمن][4].

ثم أظهر الله تعالى تلك المسمّيات للملائكة، وامتحنهم تحديًا لهم، فأمرهم أن يخبروه بأسماء عرض عليهم، إن كانوا حقًّا صادقين في دعواهم بأنّه على علم بالأشياء، ومستحقّون

---

(١) الكشاف (١/١٢٤).

(٢) انظر: معالم التنزيل (١/٧٩)، والمحرر الوجيز (١/١١٦)، وموسوعة التفسير المأثور (٢/٢٢٨).

(٣) المحرر الوجيز (١/١١٩).

(٤) التحرير والتنوير (١/٤١٠).

للأفضلية على آدم[1]. وقال تعالى: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾[البقرة].

هذا تنزيهٌ من الملائكة لله عزّ وجلّ بنفي علم أيّ شيءٍ، إلَّا ما علّمهم الله تعالى، وهو العليم بغير تعليم، وهو الحكيم الذي يضع الأشياء مواضعها، حكيمٌ في خلقه وأمره، وفي تعليم مَن يشاء، فنفى الملائكةُ الكرام أصلَ العلم عن أنفسهم، وأثبتوا كمال العلم والحكمة لله تعالى[2].

قال أبو إسحاق الزَّجّاج (٣١١هـ): لا اختلاف بين أهل اللغة أنَّ التَّسبيح هو: التَّنزيه لله تعالى عن كلِّ سُوء[3].

وقال تعالى: ﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾[البقرة].

أمر آدم عليه السلام أن يُخبر الملائكة بأسماء الأشياء التي أعطاه الله تعالى القدرة على تسميتها من قبلُ، وعرضها سبحانه على الملائكة، فلم يعرفوها، فلمّا أخبرهم آدمُ بتلك الأسماء، فسمّى كلّ شيءٍ باسمه، ظهر فضلُه شرفُه عليه السلام على الملائكة، فقال الله تعالى مقرِّرًا بأنّه قد قال لهم من قبلُ بأنّه يعلم كلّ ما يغيب عن الخلق، سواء في السموات أو في الأرض، كما يعلم سبحانه ما يُظهره الملائكة وما يخفونه[4].

قال ابن جرير رحمه الله (٣١٠هـ): «وفي هذه الآيات الثلاث العبرة لمن اعتبر، والذكرى لمن ادَّكر، والبيان لمن كان له قلبٌ أو ألقى السَّمع وهو شهيدٌ، عمَّا أودع الله -جلَّ ثناؤه- آي هذا القرآن من لطائف الحكم التي تعجز عن أوصافها الألسن؛ وذلك أنَّ الله -جلَّ ثناؤه- احتجّ فيها لنبيِّه ﷺ على مَن

(١) انظر: معالم التنزيل (٧٩/١)، والمحرر الوجيز (١١٦/١)، وتفسير القرآن العظيم (٢٢٢/١).
(٢) انظر: جامع البيان (٥٢٦/١)، ومعالم التنزيل (٧٩/١).
(٣) نقله ابن الجوزيّ في (زاد المسير ٥٣/١). وفي (معاني القرآن للزّجاج ٢٨٧/٢): «التّبرئة».
(٤) انظر:جامع البيان (٥٢٩/١)، ومعالم التنزيل (٨٠/١)، والجامع لأحكام القرآن (٢٨٨/١).

كان بين ظهرانيه من يهود بني إسرائيل بإطلاعه إيَّاه من علوم الغيب التي لم يكن -جلَّ ثناؤه- أطلع عليها مِن خلقه إلَّا خاصًّا، ولم يكن مُدرِكًا علمُه إلَّا بالإنباء والإخبار، لتتقرر عندهم صحّة نبوته، ويعلموا أنَّ ما أتاهم به فمن عنده. ودلَّ فيها على أنَّ كلَّ مخبر خبرًا عمَّا قد كان، أو عمَّا هو كائنٌ ممّا لم يكن ولم يأته به خبرٌ، ولم يوضع له على صحّته برهانٌ= فمتقوِّلٌ ما يستوجب به من ربّه العقوبة. ألا ترى أنَّ الله -جلّ ذكره- ردَّ على ملائكته قِيلهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[البقرة: ٣٠]، وعرَّفهم أنَّ قِيل ذلك لم يكن جائزًا لهم بما عرَّفهم من قصور علمهم عند عرضه ما عرض عليهم من أهل الأسماء، فقال: ﴿أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[البقرة: ٣١]، فلم يكن لهم مفزَعٌ إلَّا الإقرار بالعجز والتَّبري إليه أن يعلموا إلَّا ما عَلَّمهم بقولهم: ﴿سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ﴾[البقرة: ٣٢]» [(١)].

-العداوة الكبرى:

في قصّة آدم: قصةُ بدء العداوة الأبدية الكبرى: عداوة إبليس وقبيلِه لآدم وذرّيته. قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾[البقرة].

يُذكِّر الله تعالى رسولَه ﷺ بأمره لجميع الملائكة بالسُّجود لآدم إكرامًا وتعظيمًا له، وعبوديةً لله تعالى، وأنّهم بادروا جميعًا بالسُّجود، وامتنع إبليس من ذلك، وتكبّر على أمر الله تعالى وعلى آدم، فاتّصف بكفر عظيم[(٢)].

قال ابن جرير رحمه الله (٣١٠هـ): «أبى واستكبر لِما كان حدَّث به نفسُه من كبره واغتراره»[(٣)].

---

(١) جامع البيان (١/٥٢٧-٥٢٨).

(٢) انظر: معالم التنزيل (١/٨١)، والجامع لأحكام القرآن (١/٢٩١).

(٣) جامع البيان (١/٤٨٤).

قال الله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾[البقرة].

يُبيّن الله تعالى إكرامَه لآدمَ وزوجه حواء عليهما السّلام بأن أذِنَ لهما في سُكنى الجنّة، وأباح لهما أن يأكلا منها رِزقًا واسعًا هنيئًا، لا عناءَ فيه ينالانه فيهما حيثُ شاءا، عدا شجرةً واحدةً فقط، عيَّنها لهما الحكيمُ الخبيرُ سبحانه، فنهاهم عن قُربانها، وإلَّا صارا بالأكل منها من الظالمين، باعتدائهما على حدٍّ من حدود الله جلّ وعلا[1].

قال ابن عطيّة رحمه الله (٥٤٢هـ): «(اسكن): معناه لازم الإقامة، ولفظه لفظ الأمر، ومعناه الإذن، و(أنتَ) تأكيدٌ للضَّمير الذي في (اسكن)، و(زوجك) عطفٌ عليه، والزَّوج: امرأة الرَّجل، وهذا أشهر من زوجة»[2].

قال الله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾[البقرة: ٣٦].

فأوقعهما الشَّيطانُ في المعصية والزَّلل الذي أبعدهما عن الجنّة، وذلك بأكلهما من الشّجرة، فكان إبليسُ بإغوائه ووسوسته سببًا في إخراجهما من الرّزق الواسع والعيش الهنيء الذي كانا ينعمان به في الجنّة [3].

قال ابن جرير رحمه الله (٣١٠هـ): «إنَّما أزلَّهما عن طاعة الله بعد أن لُعِنَ وأظهرَ التَّكبُر؛ لأنَّ سجودَ الملائكة لآدمَ كان بعد أن نُفخ فيه الرُّوحُ، وحينئذٍ كان امتناعُ إبليسَ من السُّجود له، وعند الامتناع من ذلك حلَّت عليه اللعنةُ»[4]. قال الله تعالى: ﴿وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾[البقرة: ٣٦].

أمر الله -عزّ وجلّ- آدمَ وحواء وإبليس بالهبوط إلى الأرض، وأخبر بعداوة بعضهم لبعض[5]،

(١) انظر: معالم التنزيل (٨٢/١)، والجامع لأحكام القرآن (٢٩٨/١).
(٢) المحرر الوجيز (١٢٦/١).
(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٣١١/١)، وتفسير القرآن العظيم (٢٣٥/١).
(٤) جامع البيان (٥٤٧/١).
(٥) انظر: جامع البيان (٥٧١/١)، ومعالم التنزيل (٨٤/١)، والجامع لأحكام القرآن (٣٢٠/١)

كما قال تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾[الكهف: ٥٠]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾[فاطر: ٦].

قال أبو عبد الله القُرطبيُّ رحمه الله (٦٧١هـ): «العَدُو: خلافُ الصَّديق، وهو مِن (عدا) إذا ظلم. وذيبٌ عَدْوَان: يعدو على النَّاس. والعُدْوَان: الظُّلم الصُّرَاح. وقيل: هو مأخوذٌ من المجاوزة، من قولك: لا يعدُوك هذا الأمرُ، أي: لا يتجاوزك. وعَدَاه: إذا جاوزه، فسُمِّي عَدُوًّا لمجاوزة الحدِّ في مكروه صاحبه، ومنه: العَدْوُ بالقدم لمجاوزة الشَّيء، والمعنيان متقاربان، فإنَّ مَن ظلم؛ فقد تجاوز»[(١)].

عداوة إبليس لآدم سببها الكبر والحسد، وعداوة آدمَ وبنيه لإبليس؛ لكونِ إبليس اتّخذه عدوًّا وأعلن له عن عداوته: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾[الأعراف]، ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[الحجر: ٤٤]، ﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾﴾[الإسراء].

قال البغويُّ رحمه الله (٥١٠هـ): «﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ أي: لأجلِسَنَّ لبني آدمَ على طريقك القويم، وهو الإسلام»[(٢)].

وقال ابن عطيّة رحمه الله (٥٤٢هـ): «لأتعرضنَّ لهم في طريق شرعك وعبادتك ومنهج النَّجاةَ؛ فلأصُدَنَّهم عنه»[(٣)].

وفي الحديث: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَعَدَ لِابْنِ آدَمَ بِأَطْرُقِهِ، فَقَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْإِسْلَامِ فَقَالَ: تُسْلِمُ وَتَذَرُ دِينَكَ وَدِينَ آبَائِكَ وَآبَاءِ أَبِيكَ؟ فَعَصَاهُ فَأَسْلَمَ. ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْهِجْرَةِ فَقَالَ: تُهَاجِرُ وَتَدَعُ أَرْضَكَ وَسَمَاءَكَ، وَإِنَّمَا مَثَلُ الْمُهَاجِرِ كَمَثَلِ

(١) الجامع لأحكام القرآن (١/٣٢٠).
(٢) معالم التنزيل (٣/٢١٨).
(٣) المحرر الوجيز (٢/٣٨٠).

الْفَرَسِ فِي الطِّوَلِ؟ فَعَصَاهُ فَهَاجَرَ. ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْجِهَادِ فَقَالَ: تُجَاهِدُ، فَهُوَ جَهْدُ النَّفْسِ وَالْمَالِ، فَتُقَاتِلُ فَتُقْتَلُ فَتُنْكَحُ الْمَرْأَةُ، وَيُقْسَمُ الْمَالُ؟ فَعَصَاهُ فَجَاهَدَ»، فقال رسول الله ﷺ: «فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَمَنْ قُتِلَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَإِنْ غَرِقَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ: وَقَصَتْهُ دَابَّتُهُ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ»[1].وقال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [البقرة: ٣٦].يستقرُّون على ظهرها أحياءً، متمتّعين بما يرزقهم الله تعالى، إلى أجل معيَّن، وهو انقضاء أعمارهم، ويستقرّون في بطنها مقبورين إلى وقت محدّد، وهو قيام السّاعة [2].

قال ابن عبّاس رضي الله عنهما: «مستقرُّه فوق الأرض، ومستقرُّه في الرَّحم، ومستقرُّه تحت الأرض، حتَّى يصير إلى الجنَّة أو إلى النَّار»[3].

وهو حقيقة كونه خليفةً في الأرض، يموت ويعود إلى ربّه عزّ وجلّ، ويخلفُه غيرُه، حتّى يرث الله الأرض ومَن عليها.قال الحسن رحمه الله: «يا ابنَ آدم، أنتَ وديعةٌ في أهلك، ويوشك أن تلحق بصاحبك»[4].

-التّوبة والإنابة:

قال: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾[البقرة].

لقَّن الله -عزّ وجلّ- آدمَ كلماتٍ تحصل بها توبته من المعصية التي وقعت منه، فتلقّفها آدمُ عليه السَّلام متلقِّيًا لها بالقبول، فاعترف بذنبه، وسأل الله تعالى مغفرتَه ورحمتَه، فتاب الله عليه ورحمه، فهو التّواب كثير التّوب، أي: يرجع على عبده بقبول توبته. وتوبته بتوفيق عبده للتّوبة أوّلًا، وقبولها منه ثانيًا.

---

(١) أخرجه أحمد (١٥٩٥٨)، والنّسائيُّ (٣١٣٤) من حديث سَبْرَة بن أبي فاكه رضي الله عنه وصحّحه الألبانيُّ في (الصحيحة: ٢٩٧٩)، وقال شعيب الأرنؤوط: «إسناده قويّ».

(٢) انظر: جامع البيان (١١٦/١٠)، ومعالم التنزيل (١٧٢/٣)، والجامع لأحكام القرآن (١/ ٣٢١)

(٣) رواه ابن جرير في (تفسيره ٤٣٩/٩).

(٤) ذكره البغويُّ في (تفسيره ١٧٢/٣).

وهو الرّحيم بعباده المؤمنين، يختصّهم برحمته سبحانه[١].

قال ابن جرير رحمه الله (٣١٠هـ): «معنى التَّوبة من العبد إلى ربّه: إنابته إلى طاعته، وأوبته إلى ما يرضيه بتركه ما يسخطه من الأمور التي كان عليها مقيمًا ممَّا يكرهه ربُّه، فكذلك توبة الله على عبده هو: أن يرزقَه ذلك، ويتوبَ من غضبه عليه إلى الرِّضا عنه، ومن العقوبة إلى العفو والصَّفح عنه»[٢].

وقال الشَّيخُ الأمينُ الشُّنقيطيُّ رحمه الله (١٣٩٣هـ): «قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ لم يبيّن هنا ما هذه الكلمات،

ولكنه بيَّنها في (سورة الأعراف) بقوله: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾»[٣].

-بدء الخلافة:

قال الله تعالى: ﴿قُلْنَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [البقرة].أخبر الله تعالى الذين أهبطهم من الجنّة ويدخلُ في هذا الخطاب ذرّياتهم- بأنّه إن جاءهم في أيّ وقتٍ وحين كتابٌ أو رسولٌ يُبيّن لهم الطّريق، ويرشدهم إليه، واتَّبَعوه في ذلك= أنّ لهم الأمنَ التَّامّ والسّرور الدّائم، فلا يخافون ممّا يستقبلون، ولا يحزنون على ما فاتهم من أمور الدُّنيا، وبهذا تحصل لهم السّعادة الدّنيوية والأخروية، بإذن الله عزّ وجلّ[٤].

قال أبو عبد الله القُرطبيُّ رحمه الله (٦٧١هـ): «لم يكن إخراجُ الله -تعالى- آدمَ من الجنَّة، وإهباطه منها عقوبةً له؛ لأنَّه أهبطه بعد أن تاب عليه وقَبِل توبتَه، وإنَّما أهبطه إمَّا تأديبًا، وإمَّا تغليظًا للمِحنة. والصَّحيح في إهباطه وسكناه في الأرض: ما قد ظهر من الحكمة الأزلية في ذلك، وهي نشرُ نسله فيها

(١) انظر: جامع البيان (٥٧٩/١)، ومعالم التنزيل (٨٥/١)، والمحرر الوجيز (١٣٠/١).
(٢) جامع البيان (٥٨٧/١).
(٣) أضواء البيان (٨٨/١).
(٤) انظر: معالم التنزيل (٨٦/١)، والجامع لأحكام القرآن (٣٢٧/١).

ليُكَلِّفَهم ويمتحِنَهم، ويُرَتِّب على ذلك ثوابَهم وعقابَهم الأخروي؛ إذِ الجنَّة والنَّار ليستا بدار تكليف، فكانت تلك الأكلة سببَ إهباطه من الجنَّة. ولله أن يفعل ما يشاء»[(١)].

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٣٩﴾. إنّ مَن لم يتّبع هُدى الله عزّ وجلّ، فجحد الحقَّ، وكذَّب بالآيات الشّرعية أو الكونية، فهو من أهل النّار الملازمين لها على الدّوام، لا يخرجون منها أبدًا [(٢)].

قال ابن جرير رحمه الله (٣١٠هـ): «يعني: والذين جحدوا آياتي وكذَّبوا رسلي -وآياتُ الله: حُجَجه وأدلَّته على وحدانيته وربوبيته، وما جاءت به الرُّسل من الأعلام والشَّواهد على ذلك، وعلى صدقها فيما أنبأت عن ربِّها. وقد بيَّنا أنَّ معنى الكفر: التَّغطية على الشَّيء= ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ يعني: أهلها الذين هم أهلها دون غيرهم، المخلدون فيها أبدًا إلى غير أمد ولا نهاية»[(٣)].

ومن ذلك الهبوط من السَّماء إلى الأرض، بدأت قصةُ الخلافة ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗ﴾، بعد أن استكمل تدريبَه العملي في السَّماء حتى يستطيع أن يكون خليفة في الأرض يعمرها بالصّلاح والإصلاح، ويحارب فيها الفساد والإفساد.

وفي المبحث الثّاني يحاول الباحث الإجابة عن الأسئلة التي سبق أن أتى على ذكرها عرضًا في مقدمة البحث.

(١) الجامع لأحكام القرآن (١/٣٢١).
(٢) انظر: جامع البيان (١/٥٩٢).
(٣) جامع البيان (١/٥٩٢).

المبحث الثاني: هدايات قصّة بناء الإنسان الأوّل:

الإنسان مخلوقٌ قادرٌ على الإفساد والإهلاك وسفكّ الدّماء، كيف لهذا المخلق أن يكون قادرًا أن يخلف بعضُه بعضًا، ويتكاثر في الأرض ويعمرها؟

أخبر الله تبارك وتعالى الملائكة أنَّه سيخلق آدم عليه السلام ليسكن الأرض، ويكون خليفة فيها، ولكنه لم يُخلق فيها ابتداءً، وإنّما خُلق في السَّماء، ثمّ أُسِكن الجنّةَ، ثم كان منه ما كان، فأُهْبِط إلى الأرض.

كلّ ذلك كان يبني الإنسانَ الأوّلَ ليكون هو وذريته خلفاء في الأرض يخلف بعضهم بعضًا فيها، ويعمرونها وَفق مراد الله تبارك وتعالى.

وهذا المبحث يستعرض أبرز مقومات خليفة الله في الأرض:

-الفطرة الإنسانية:

يُولد الإنسان وفيه خصائص مودعة في أصل خلقة أبيه (آدم) يستطيع بها -لو تُرك دون مؤثّرات خارجية- أن يتلمس طريقَه في الحياة نورًا وهداية. قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ؟»[1].

-التوحيد:

أوّل معالم هذه الفطرة الإنسانية: أنَّه يعرف خالقَه، ويتّجه بصرُه إلى السَّماء، فقد خلق الله أباه من تراب، ثم نفخ فيه الرَّوح، ثمّ كلمه الله تبارك وتعالى، وعلَّمه وأكرمه.

فدّبت فيه الحياة وهو يعرف خالقه، وأنّه لا ربّ له سواه، ولا معبودَ يتّجه قلبُه إليه غيرُه، فأورث هذه المعرفةَ بنيه من بعده. وروي عن ابن عبّاس في قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٣٧﴾[البقرة: ٣٧]: أي ربِّ، ألم تخلقني بيدك؟ قال: «بلى»، قال: أي ربِّ، ألم تنفخ فيَّ من روحك؟

(١) أخرجه البخاريُّ (١٣٥٩)، ومسلم (٢٦٥٨) من حديث أبي هريرة.

قال: «بلى»، قال: أي ربِّ، ألم تُسْكِنّي جنَّتك؟ قال: «بلى»، قال: أي ربِّ، ألم تسبقْ رحمتُك غضبَك؟ قال: «بلى»، قال: أرأيتَ إن تبتُ وأصلحتُ، أراجعي أنتَ إلى الجنةَّ؟ قال: «بلى». قال: فهو قوله: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾[البقرة: ٣٧][(١)].

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾[الأعراف].

وهذه الآية فسَّرت الحديثَ المتقدِّم: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ؟». قال أبو العبّاس القُرطبيُّ رحمه الله (٦٥٦هـ): «الاعتراف بربوبيّته»[(٢)].

وعن عِياض بن حِمار المجاشعيّ: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال ذاتَ يومٍ في خُطبته: «أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا، كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلَالٌ، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا، وَإِنَّ اللهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَمَقَتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ»[(٣)].

قال أبو عبد الله الحَليميُّ (٤٠٣هـ): «وهذا يدلُّ على أنَّ أصلَ النَّاس في دينهم الأيمانُ، وأنّهم في ذلك بمنزلة الماء والثّوب والأرض التي أصلُها الطَّهارةُ ما لم يرد عليه رادٌّ ينجسها»[(٤)].

(١) أخرجه الحاكم (٢/٥٩٤)، وقال الذَّهبيُّ في (التّلخيص): «صحيح».
(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (١/٣٨٨).
(٣) أخرجه مسلم (٢٨٦٥).
(٤) المنهاج في شعب الإيمان (١/١٥٣).

-العلم:

من معالم الفطرة الإنسانية: قُدرة الإنسان أن يُعلِّم نفسَه، فهو قادرٌ بفطرته على التّعرف على الأشياء من حوله، والتمييز بين بعضها بعضًا بالأسماء، فيُسمّي الأشياء بناءً على خصائصها، وإدراكه للخير أو الشَّرّ التي فيها.

قال الله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾﴾[البقرة].

قال ابن عطيّة رحمه الله (٥٤٢هـ): «معناه: عرَّف، وتعليمُ آدم -هنا- عند قوم: إلهامُ علمه ضرورةً. وقال قومٌ: بل تعليمٌ بقولٍ، فإمَّا بواسطة مَلَك، أو بتكليم قبل هبوطه الأرض»[(١)]. وذكر الطَّاهر ابن عاشور (١٣٩٣هـ) أنَّ تعليم الله تعالى آدم الأسماءَ إمَّا بطريقة التلقين بعرض المسمى عليه فإذا أراه لقن اسمه، فيعلم أنَّ ذلك اللفظ دالٌّ على تلك الذات، أو يكون التَّعليم بإلقاء علم ضروري في نفس آدم بأن ألهمه وضعَ الأسماء للأشياء، كما قال تعالى: ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾﴾ [الرحمن][(٢)].

العلم الضَّروري هو الذي لا يحتاج إلى نظر واستدلال، بل ينقدح في القلب، ويعلم أنَّه حقٌّ لا يستطيع دفعَه، وقد قال به السَّمين الحلبيُّ (٧٥٦هـ)، قال: «تعليمُه الأسماءَ هو أن جعل له قوَّةً بِها نَطَق ووَضَع أسماءَ الأشياءِ، وذلك بإلقائه في رُوعه»[(٣)]. **والقول بالعلم الضَّروري** يفرض أنّه لا مزيّة لآدم عليه السلام به على الملائكة، بخلاف العلم النَّظري حيثُ يستدلّ على المسمَّى بصفاته، فيُسمِّيه باسم دالٍّ على صفاته.

قال الحسن بن عَرَفة البغدادي رحمه الله (٢٥٧هـ):«الأسماءُ سِماتٌ للمُسمَّيات، أي: علاماتٌ لها، يُعرفِ بها الشَّيءُ من غيره»[(٤)]

(١) المحرر الوجيز (١/١١٩).
(٢) التحرير والتنوير (١/٤١٠).
(٣) عمدة الحفّاظ (علم ٣/١١٢).
(٤) نقله أبو عبيد الهرويُّ في (الغريبين: سما ٣/٩٣٦).

وقد ذكر الألوسيُّ رحمه الله (١٢٧٠هـ): أنَّ الله ألهمه معرفةَ ذوات الأشياء وأسمائها وخواصِّها ومعارفها، وقال: «والقول: بأنَّ التَّعليم على ظاهره -وكان بواسطة ملك غيرِ داخل في عموم الخطاب بـ ﴿أَنۢبِـُٔونِي﴾- ممَّا لا أرتضيه، اللَّهمَّ إلَّا إن صحَّ خبرٌ في ذلك»[١].وقال بديع الزَّمان النَّورسيُّ رحمه الله (١٣٧٩هـ) في قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾: «أي: صوَّره بفطرةٍ تضمنت مبادئَ أنواع الكمالات، وخَلَقه باستعدادٍ زرع فيه أنواعَ المعالي، وجهَّزه بالحواس العشر وبوجدان تتمثَّل فيه الموجودات، وأعدّه بِهذه الثلاث لتَعَلُّم حقائقِ الأشياءِ بأنواعها، ثمَّ علَّمه الأسماءَ كلَّها»[٢].وقال الطاهر بن عاشور (١٣٩٣هـ) في قوله: ﴿عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤﴾: «معنى تعليم الله الإنسان البيان: أنَّه خلق فيه الاستعداد لعلم ذلك، وألهمه وضع اللُّغة للتَّعارف، وقد تقدَّم عند قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ في (سورة البقرة)، وفيه: الإشارة إلى أنَّ نعمة البيان أجلُّ النِّعم على الإنسان»[٣]. وقال أبو زُهرة رحمه الله (١٣٩٤هـ): «إنَّه أُوتي استعدادًا لعلم الأشياء، أي: علم الكون وما فيه؛ لأنَّ الله تعالى سخَّرها له، ولا يتحقَّق ذلك التَّسخير إلَّا إذا أودع الله تعالى في نفسه القدرةَ على العلم بِها، ولذلك أنبأ الملائكةَ بأسمائها»[٤].

وهذه القدرة والملكة في معرفة الأشياء والبيان عنها= مكَّنته من تسمية تلك المسمَّيات، فحسبنا أن نقول: إنَّ الله خلق في آدم عليه السلام قدرةً على معرفة الأشياء وتمييزها، والرَّمز إليها بأسماء، وكانت هذه القدرة هي الأساس الأوَّل للمعرفة الإنسانية[٥].

(١) روح المعاني (١/٢٢٦).
(٢) إشارات الإعجاز (٢٤١).
(٣) التحرير والتنوير (٢٧/٢٣٣).
(٤) المعجزة الكبرى للقرآن (٣٧٣).
(٥) محاضرات في علوم القرآن؛ لمحمد عبد السلام كفافي وعبد الله الشريف (٢١١).

قال الرَّاغب الأصفهانيُّ (٥٠٢هـ): «فتعليمه الأسماء: هو أن جعل له قوَّة بها نطق ووضع أسماءَ الأشياء، وذلك بإلقائه في رُوعه، وكتعليمه الحيوانات كلَّ واحدٍ منها فعلًا يتعاطاه، وصوتًا يتحرَّاه»[١].

-الاستسلام لأمر الله:

من هدايات قصة بناء الإنسان الأوّل: أنّ من مقومات الحياة السّعيدة في الأرض: الاستسلام والرّضا بقضاء الله وقدره، وكان هذا الإنسان الأوّل بحاجة إلى تجربة عملية يتبيَّن له من خلالها عاقبة الاعتّراض على أمر الله قضاء وقدرًا.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [آل عمران]. قال البغويُّ رحمه الله (٥١٠هـ): ﴿ٱصْطَفَىٰٓ﴾ اختار، افتعل من الصَّفوة، وهي: الخالص من كلِّ شيء»[٢].

وقال ابن عطية رحمه الله (٥٤٢هـ): «آدَمَ هو أبونا عليه السلام اصطفاه الله تعالى بالإيجاد والرسالة إلى بنيه والنبوة والتكليم»[٣].وقال ابن كثير رحمه الله (٧٧٤هـ): «اصطفى آدمَ عليه السلام، خلقه بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وعلَّمه أسماءَ كلِّ شيء، وأسكنه الجنّة ثمّ أهبطه منها، لِما له في ذلك من الحكمة»[٤].وقال تعالى: ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾ [الأعراف: ١١]. وقال تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾﴾[الحِجر: ٤٤].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾ [الإسراء: ٦٣].

قال قتادة رحمه الله: «أكرمَ اللهُ آدمَ أن أسجدَ له ملائكتَه»[٥].

وقال البغويُّ رحمه الله (٥١٠هـ): «قوله: ﴿ٱسْجُدُوا۟﴾ فيه قولان:

(١) مفردات القرآن (سما).
(٢) معالم التنزيل (٢/٢٨).
(٣) المحرر الوجيز (١/٤٢٢).
(٤) تفسير القرآن العظيم (٢/٣٣).
(٥) جامع البيان (١/٥٤٧).

الأصحُّ أنَّ السُّجود كان لآدمَ على الحقيقة، وتضمّن معنى الطّاعة لله –عزّ وجلّ– بامتثال أمره، وكان ذلك سجود تعظيم وتحية لا سجود عبادة، كسجود إخوة يوسفَ له في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا﴾ [يوسف: ١٠٠] [(١)].

وقال الزَّمخشريُّ رحمه الله (٥٣٨هـ): «السُّجود لله تعالى على سبيل العبادة، ولغيره على وجه التَّكْرُمة، كما سجدتِ الملائكةُ لآدمَ، وأبو يوسفَ وإخوتُه له»[(٢)].قال أبو عبد الله القُرطبيُّ رحمه الله (٦٧١هـ): «استدلَّ مَن فضَّل آدمَ وبنيه بقوله تعالى للملائكة: ﴿ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ﴾، قالوا: وذلك يدلُّ على أنَّه كان أفضلَ منهم»[(٣)].

وهذا الاصطفاء والاختيار والتّكريم حكمُ الله تعالى، كيف كان وقعُه على أهل السَّموات، هل استسلموا له، وانقادوا إليه، ورضوا به، أم ماذا؟

أخبر الله أنّ الملائكة امتثلوا وسجدوا كلّهم أجمعون: ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾[الحِجر]، واختار إبليس الاعتراض على حكم الله وأمره: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[البقرة: ٣٤].

قال القرطبيُّ رحمه الله (٦٧١هـ): «الاستكبار: الاستعظام، فكأنَّه كره السُّجودَ في حقِّه واستعظمه في حقِّ آدمَ، فكان تركُ السُّجود لآدمَ تسفيهًا لأمر الله وحكمته»[(٤)]. وقال تعالى: ﴿لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾﴾[الحِجر]، وقال في (الأعراف: ١٢): ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾[الأعراف]، وقال في (الإسراء: ٦١): ﴿ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾.

قال البغويُّ رحمه الله (٥١٠هـ): «أراد: أنا أفضلُ منه؛ لأنَّه طِينيٌّ وأنا ناريٌّ، والنَّارُ تأكل الطِّينَ»[(٥)].

---

(١) معالم التنزيل (٨١/١).
(٢) الكشاف (١٢٦/١).
(٣) الجامع لأحكام القرآن (٢٩٢/١).
(٤) (٢٩٦/١).
(٥) معالم التنزيل (٣٨١/٤).

قال النَّبيُّ ﷺ: «الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ»(١).

بطرُ الحقِّ: ردُّه، وغمط النّاس: احتقارهم(٢).

وهذا الذي كان من إبليس، فردّ أمر الله احتقارًا لآدمَ عليه السلام، فكان ذلك سبب شقائه الأبديّ، قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ٣٤ وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٣٥﴾ [الحِجر]. قال ابن عطية رحمه الله (٥٤٢هـ): وقول إبليس: ﴿لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٖ﴾ ليس هذا موضع كفره عند الحُذّاق؛ لأنَّ إبايتَه إنّما هي معصية فقط، وأمَّا قوله وتعليله فإنّما يقتضي أنَّ الله خلق خلقًا مفضولًا، وكلَّف أفضلَ منه أن يَذِلّ له، فكأنَّه قال: وهذا جورٌ، وذلك أنّ إبليس لما ظنَّ أنَّ النَّار أفضلُ من الطِّين= ظنَّ أنَّ نفسَه أفضلُ من آدمَ، فقاس وأخطأ في قياسه، وجهل أنَّ الفضائلَ إنَّما هي حيثُ جعلها الله المالكُ للجميع، لا ربَّ غيرُه(٣).

-عاقبة الاختيار:

ميّز الله الجنّ والإنسَ بأنّهم قادرون على الاختيار بين الفعل والترك، والامتثال والقبول، والامتناع والرفض، بخلاف الملائكة الذين ليس لديهم هذه الميزة ﴿لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]. قد تجلَّى ذلك في سجود الملائكة لآدم عليه السلام، وامتناع إبليس إباءً واستكبارًا.

وهذه الاختيارات لها عاقبة حُسنًا وقُبحًا، وكان لا بدّ للإنسان الأوّل أن يُدرك عاقبة اختياراته، كما أدرك عاقبة اختيار إبليس لعصيان أمر ربّه في السُّجود له، ولذلك كتب الله على آدم عليه السلام أن يذوق عاقبة اختياراته في التكليف الأوّل (بأن لا يقرب شجرةً عيَّنها له سبحانه وتعالى)، فأسكنه الجنَّة وأباح له ما فيها ونهاه أن يقرَّب شجرة بعينها وألَّا يأكل منها.

---

(١) أخرجه مسلم (٩١) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢)انظر: تهذيب اللغة (بطر ٢٢٩/١٣، غمط ٨٧/٨)، والنهاية (بطر ١٣٥/١، غمط ٣٨٧/٣)

(٣) المحرر الوجيز (٣٦١/٣) بتصرف. وانظر: الجامع لأحكام القرآن (٢٩٦/١).

قال الله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [البقرة]، وقال تعالى: ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾﴾ [الأعراف].

فأكلا منها اختيارًا شهوةً واغترارًا وضعفًا: ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾ [طه: ١٢١]. قال وهبُ بن منبّه رحمه الله: «كان عليهما نورٌ يستر عورةَ كلّ واحدٍ منهما؛ فانقشع بالمعصيةِ ذلك النُّور»[(١)]. قال أبو حيَّان رحمه الله (٧٤٥هـ): ﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا﴾ [الأعراف: ٢٢]، أي: وجدا طعمَها آكلين منها، كما قال تعالى: ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا﴾ [طه: ١٢١]، وتطايرت عنهما ملابس الجنة، فظهرت لهما عوراتُهما، وتقدَّم أنّهما كانا قبل ذلك لا يريانها من أنفسهما، ولا أحدهما من الآخر»[(٢)]. فهذه عاقبة المعصية وظلمتها، وقد كان من قبلُ: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾﴾ [طه].

قال أبو القاسم الزّمخشريُّ رحمه الله (٥٣٨هـ): «الشِّبع والرِّى والكِسوة والكِنّ هي الأقطاب التي يدور عليها كفافُ الإنسان، فذكَّرُه استجماعها له في الجنّة، وأنَّه مكفيٌّ لا يحتاج إلى كفايةِ كافٍ، ولا إلى كسب كاسب، كما يحتاج إلى ذلك أهلُ الدُّنيا، وذكرها بلفظ النَّفي لنقائضها التي هي الجوع والعُرى والظَّمأ والضَّحو، ليطرق سمعَه بأسامي أصناف الشِّقْوَة التي حذَّره منها، حتّى يتحامى السَّبب الموقِع فيها كراهةً لها»[(٣)].

ومن تجربة قصة إبليس مع ربِّه؛ اختار آدم وزوجه عليهما السّلام ألَّا يسلكا سبيلَه في الإصرار على المعصية، فتابا وأنابا، واعترفا بخطيئتهما: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف]

(١) المحرر الوجيز (٣٨٦/٢).
(٢) البحر المحيط (٢٦/٥-٢٧).
(٣) الكشاف (٩٢/٣).

قال ابن جرير رحمه الله (٣١٠هـ): «وهذا خبرٌ من الله -جلَّ ثناؤه- عن آدم وحواء فيما أجاباه به، واعترافهما على أنفسهما بالذَّنب، ومسألتهما إيَّاه المغفرةَ منه والرَّحمةَ، خلافَ جواب اللَّعين إبليسَ إيَّاه»[١].

إنّ من أهم هدايات أوّل قصةٍ قصّها علينا القرآن الكريم:

- **إدراك الإنسان أنّ اختياراته** هي التي تحدِّد مصيرَه، وتصنع هويّته:

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِۚ فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۚ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ ﴾[البقرة].

وفي الحديث: «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا»[٢]. يتحرَّى، أي: يقصد. وفلانٌ يتحرَّى كذا، أي: يتوخَّاه. والتَّحرِّي: قصدُ الأولى والأحقُّ، مأخوذٌ من الحِرىّ، وهو الخليقُ[٣].

وفي الحديث القدسي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :قال الله تعالى: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا،

(١) جامع البيان (١١٥/١٠).

(٢) أخرجه البخاريُّ (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٣) انظر: تهذيب اللغة (حرى ١٣٨/٥)، والنّهاية (أخو ٣٠/١).

وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ؛ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ»[1]. فهذا الوليّ صنعته اختياراته، قال ابن هُبيرة رحمه الله (٥٦٠هـ): «وتصويرُ ذلك: أنّه لا يسمع ما لم يأذن الشَّرعُ له في سماعه، ولا يبصر ما لم يأذن الشَّرعُ في إبصاره، ولا يمدّ يدًا إلى ما لم يأذن الشَّرعُ له في مدِّها إليه، ولا يسعي برجل إلَّا فيما أذِنَ الشَّرعُ له في السَّعي بها إليه، فهذا هو الأصل، إلَّا أنَّه قد يغلب على عبدٍ ذكرُ الله حتَّى يُعرف بذلك، فإذا خُوطب بغيره لم يكد يسمع لهم، وكذلك في المبصرات والمتناولات والمسعى إليها، وتلك طبقةٌ عاليةٌ نسأل الله أن يجعلنا من أهلها»[2].

-المرجعية الأخلاقية:

تقدّم في هذه المباحث أنّ الفطرة الإنسانية تساعد بني آدم على معرفة الخير والشَّر والحسن والقبيح، ولكنّ هذه الفطرة كما تقدّم معرّضة لعوامل عدّة تخرجها عن نقائها وصفائها مثل تأثير الوالدين والبيئة الاجتماعية وكيد الشّيطان الرّجيم الذي يسعى إلى إفسادها بكل طاقته ويحشد لها ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾﴾ [النساء: ١١٩].

ولذلك كان لا بدّ من احتكام هذه الفطرة إلى مرجعية محكمة لا تقبل الاختلاف معها، تتمثّل في الهداية الرّبانية التي تميّز الحقّ من الباطل، والصّواب من الخطأ، والحسن من القبيح حين تغيب مالآت الأمور خلف ما يحقّق للإنسان مصالحه العاجلة، ويجلب له منفعته الحاضرة، ويسعى خلف شهوته الملحّة.

(١) أخرجه البخاريُّ (٦٥٠٢) من حديث أبي هريرة **رضي الله عنه**.
(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح (٣٠٤/٧).

قال الله تعالى: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًاۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾[البقرة].

قال أبو العالية رحمه الله: «الهدى: الأنبياء والرُّسل والبيان»[1].

قال ابن جرير رحمه الله (٣١٠هـ): «فإن كان ما قال أبو العالية في ذلك كما قال، فالخطابُ بقوله: ﴿ٱهْبِطُواْ﴾ وإن كان لآدم وزوجته، فيجب أن يكون مرادًا به آدمَ وزوجته وذرّيتهما»[2].وقال تعالى: ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًاۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾[طه].

قال ابن جرير رحمه الله (٣١٠هـ): «قوله: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم﴾ يقول: فإن يأتكم يا آدمُ وحواءُ وإبليسُ ﴿مِّنِّي هُدًى﴾ يقول: بيانٌ لسَبيلي وما أختاره لخلقي من دين ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ﴾ يقول: فمن اتبع بياني ذلك وعمل به، ولم يزغ عنه ﴿فَلَا يَضِلُّ﴾ يقول: فلا يزول عن محجّة الحقِّ، ولكنّه يُرشَد في الدُّنيا ويُهتدي ﴿وَلَا يَشْقَىٰ﴾ في الآخرة بعقاب الله؛ لأنَّ الله يدخله الجنّةَ، وينجّيه من عذابه»[3]. ولذلك؛ فإنّ الإلحاد الذين ينكرون وجود الخالق والأديان، وكذلك العلمانية التي ترفض وصاية الدّين= غارقة في الفوضى الأخلاقية التي تتركز حول الذَّات وما يُحقِّق لها مصالحها ويدفع عنها ما يضُرّها، دون أيّ منظومة أخلاقية محكمة، وإلَّا كي استطاعوا أن يسقطوا القنبلة النووية على هيروشيما.

فهذه وقفات سريعةٌ مع هدايات قصّة بناء الإنسان الأوّل الذي خُلق ليكون خليفةً في الأرض يخلفه أبناؤه من بعده جيلًا بعد جيل؛ ليحققوا مراد الله تعالى من خلقهم.

---

(١) جامع البيان (٥٨٩/١).

(٢) المرجع السابق نفسه.

(٣) المرجع السابق نفسه (١٩٠/١٦).

خاتمة

نسأل الله حسنَها، وأن يجنبنا حزنَها.

ثمّ إنّ هذا البحث قد أفاد عدّة نتائج، منها:

١-أهمية قصص القرآن الكريم في بناء الفرد المسلم.

٢-أهمية القصة الأوّلى في القرآن: قصة آدم عليه السلام الإنسان الأوّل.

٣-من أسباب السّعادة في الحياة: الاستسلام لأمر الله وقضائه وقدره، ومن أسباب الشّقاء: التّسخط، والاعتراض على أمر الله وقضائه وقدره.

٤-أصل الفطرة الإنسانية: معرفة الخالق، والتّمييز بين النّافع، والضَّارّ والقبيح والحسن.

٥-أصل التّكليف: حرّية الاختيار بين الخير والشّر، والنّافع والضَّارّ.

٦-خيارات الإنسان هي التي تحدِّد هويته ومصيره.

٧-الفطرة الإنسانية تحتاج إلى حاكم يحكم مسارها، ويضبط اختياراتها، فلا يستطيع العقلُ أن يستقلّ بنفسه، بل لا بدّ أن يكون تابعًا للشّرع، منقادًا إليه، مستسلمًا له.

٨-الاستخلاف حصل للإنسان الأوّل وقد أعطاه الله ما يجعله يتجنب الفساد والإفساد وسفك الدماء.

وفيها توصياتٍ أختمُ بها عُجالةَ هذا البحث:

أوَّلًا: أهمية العناية بقصص القرآن الكريم واستخراج هداياتها في بناء الأفراد والمجتمعات.

ثانيًا: أهمية العناية بقصص الأنبياء ومقارنتها بأحداث السّيرة **النبوية** «**يرحم الله موسى، قد أوذي بأكثر من هذا فصبر**»[1].

(١)أخرجه البخاريّ (٢٩٨١)، ومسلم (١٠٦٢) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

ثالثًا: أنَّ الأمّة لم تزل في حاجة ماسَّة استجلاء هدايات قصص أمم الماضية التي قصّها القرآن الكريم وربطها بواقع العالم اليوم وما يجري فيها من أحداث، وبخاصّة في زمننا هذا الذي بات النّاس فيه يعيشون في قريةٍ واحدة، فلا تُصبح شبهةٌ في الشرق، إلَّا وتمسي في الغرب، ولا تمسي في الغرب، إلا وتصبح في الشرق.

فلا يصبح النّاس ويمسون إلَّا وهم في حيرةٍ وتيه، إلَّا من اعتصم بحبل الله المتّين، والله خيرٌ حافظًا وهو أرحم الرّاحمين.

اللّهمّ إن كان من صواب فهو بفضلك، وقوّتك وحولِك. وما خرج عن الصّواب فقد علمتَه، ورأيت عوجَه وأمْتَه. تعلم ما نخفي وما نعلن، وما نظهر وما نبطن.

نتوسّل إليك بعدلك وعلمك، ونسألك بصفتك وباسمك أن تذهب ما أسأنا، بما أحسنّا وأصبنا، وأن لا تجعل في مقاصدنا قدرًا لأحد، يا من ﴿هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾.

سبحانك اللّهمّ وبحمدك، ونشهد أن لا إله إلاّ أنت، نستغفرك ونتوب إليك.

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١. **إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز**، لبديع الزمان سعيد النورسي (١٣٧٩هـ)، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، الطبعة الثالثة ٢٠٠٢م، شركة سوزلر للنشر–القاهرة.

٢. **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي (١٣٩٣هـ)، الطبعة الخامسة ١٤٤١هـ، دار عطاءات العلم–الرياض/ دار ابن حزم–بيروت.

٣. **الإفصاح عن معاني الصحاح**، لأبي المظفّر يحيى بن هُبَيْرَة الذهلي الشيبانيّ، (٥٦٠هـ)، تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الوطن ١٤١٧هـ..

٤. **البحر المحيط في التفسير**، لأبي حيّان محمد بن يوسف الأندلسي (٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، الطبعة ١٤٢٠هـ، دار الفكر–بيروت.

٥. **بدائع الفوائد**؛ لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (٧٥١ هـ)، تحقيق: علي بن محمّد العمران، الطبعة الخامسة ١٤٤٠هـ، دار عطاءات العلم–الرياض/ دار ابن حزم–بيروت.

٦. **التحرير والتنوير (تفسير ابن عاشور)**؛ لمحمد الطاهر بن محمد ابن عاشور (١٣٩٣هـ)، النشرة الأولى: ١٩٨٤هـ، الدار التونسية للنشر، تونس.

٧. **تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**؛ للشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت ١٣٧٦هـ)، تحقيقي: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٨. **تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)**؛ لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض.

٩. **تهذيب اللغة**؛ لأبي منصور محمد بن أحمد بن الأزهري (٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، الطبعة الأولى ٢٠٠١م، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٠. **جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)**؛ لأبي جعفر محمّد بن جرير الطبري (٣١٠هـ)، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ، دار هجر للطباعة والنشر، القاهرة.

١١. **تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)**، لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الطبعة الثانية ١٣٨٤هـ، دار الكتب المصرية، القاهرة.

١٢. **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**؛ لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ، دار الكتب العلمية-بيروت.

١٣. **زاد المسير في علم التفسير**، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (٥٩٧هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ، دار الكتاب العربي بيروت

١٤. **السِّلسلة الصحيحة (سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها)**؛ لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني (١٤٢٠هـ)، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ، مكتبة المعارف، الرياض.

١٥. **سنن النسائي** لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي (٣٠٣هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب.

١٦. **صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه)**؛ لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (٢٥٦هـ)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي).

١٧. **صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ)**؛ لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، نشرة دار إحياء التراث العربي، بيروت

١٨. **عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ**، لأبي العبَّاس أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (٧٥٦هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ، دار الكتب العلمية-بيروت.

١٩. **الغريبين في القرآن والحديث**؛ لأبي عبيد أحمد بن محمد الهروي، تحقيق ودراسة: أحمد فريد المزيدي، قدم له وراجعه: أ. د. فتحي حجازي، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة.

٢٠. **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (مع حاشية الانتصاف فيما تضمنه الكشاف لابن المنير الإسكندري، وتخريج أحاديث الكشاف للإمام الزيلعي)**، لأبي

القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري (٥٣٨هـ)، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ، دار الكتاب العربي- بيروت.

٢١. **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية** لأبي البقاء أيوب بن موسى الكفوي الحنفي (١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة بيروت

٢٢. **محاضرات في علوم القرآن**، لمحمد عبد السلام كفافي وعبد الله الشريف، دار النهضة العربيه-بيروت.

٢٣. **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ، دار الكتب العلمية-بيروت.

٢٤. **المستدرك على الصحيحين**؛ لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري، إشراف: د. يوسف المرعشلي، نشرة دار المعرفة، بيروت.

٢٥. **المسند؛ لأحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (٢٤١هـ)**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرين، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٢٦. **معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)**؛ لأبي محمد محيي السُّنة الحسين بن مسعود البغويّ (٥١٦هـ)، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرين، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض.

٢٧. **معاني القرآن وإعرابه**؛ لأبي إسحاق الزّجاج إبراهيم بن السَّري (٣١١هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، عالم الكتب/بيروت.

٢٨. **المعجزة الكبرى القرآن**، للشيخ محمد بن أحمد أبو زهرة (١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي-بيروت.

٢٩. **المفردات في غريب القرآن**، لأبي القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهانى (٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت.

٣٠. **المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم**، لأبي العباس أحمد بن عمر القرطبي (٦٥٦هـ)، تحقيق: محيي الدين ديب ميستو وآخرين، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ، دار ابن كثير، دمشق/ بيروت، دار الكلم الطيب، دمشق/بيروت.

٣١. **مقاييس اللغة**، لأحمد بن فارس بن زكريا الرازي (٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، عام النشر: ١٣٩٩هـ، دار الفكر-بيروت.

٣٢. **المنهاج في شعب الإيمان**، للحسين بن الحسن بن محمد البخاري الجرجاني الحَلِيمي (٤٠٣هـ)، تحقيق: حلمي محمد فودة، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ، دار الفكر بيروت
٣٣. موسوعة التفسير المأثور، إعداد: مركز الدراسات والمعلومات القرآنية، إشراف: أ. د. مساعد بن سليمان الطيار، ود. نوح بن يحيى الشهري، الطبعة ١٤٣٩هـ، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي/ دار ابن حزم-بيروت.
٣٤. **النهاية في غريب الحديث والأثر**؛ لأبي السعادات المبارك بن محمد الشيباني الجزري ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى ومحمود محمد الطناحي، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ، المكتبة العلمية، بيروت.